

تفسير البحر المحيط

@ 363 @ هم الملائكة تبرؤا عن ما نسب إليهم الكفرة من كونهم بنات الله ، وأخبروا عن حال عبوديتهم ، وعلى أي حالة هم فيها . وفي الحديث : (أن السماء ما فيها موضع إلا وفيه ملك ساجد أو واقف يصلي) ، وعن ابن مسعود : (موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء) ، وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح ، كما مر في قوله : { وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَآيُؤْمِنَنَّ } ، أي وأن من أهل الكتاب أحد . وقال العرب : منا طعن ومنا أقام ، يريد : منا فريق طعن ومنا فريق أقام . وقال الزمخشري : وما منا أحد إلا له مقام معلوم ، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، كقوله : .

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

بكفي كان من أرمي البشر .

انتهى . وليس هذا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، لأن أحداً المحذوف مبتدأ . وإلا له مقام معلوم خبره ، ولأنه لا ينعقد كلام من قوله : وما منا أحد ، فقوله : { إِلَّا لَآيُؤْمِنَنَّ } مَقَامٌ مَّعْلُومٌ { هو محط الفائدة . وإن تخيل أن { إِلَّا لَآيُؤْمِنَنَّ } مَقَامٌ مَّعْلُومٌ { في موضع الصفة ، فقد نصوا على أن إلا لا تكون صفة إذا حذف موصوفها ، وأنها فارقت غير إذا ؛ كانت صفة في ذلك ، ليتمكن غيره في الوصف وقلة تمكن إلا فيه ، وجعل ذلك كقوله : أنا

ابن جلا ، أي ابن رجل جلا ؛ وبكفي كان ، أي رجل كان ، وهذا عند النحويين من أقبح

الضرورات . { وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَآيُؤْمِنَنَّ } : أي أقدامنا في الصلاة ، أو أجنحتنا في الهواء ، أو حول العرش داعين للمؤمنين . وقال الزهراوي : قيل إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية ، ولا يصطف أحد من الملل غير المسلمين . { وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَآيُؤْمِنَنَّ } : أي المنزهون الله عن ما نسب إليه الكفرة ، أو المنزهون بلفظ التسبيح ، أو المصلون . وينبغي أن يجعل قوله : { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } من كلام الملائكة ، فتطرد الجملة وتنساق لقائل واحد ، فكأنه قيل : ولقد علمت الملائكة أن

ناسبي ذلك لمحضرون للعذاب ؛ وقالوا : سبحان الله ، فنزهوا عن ذلك واستثنوا من أخلص من عباد الله ؛ وقالوا للكفرة : فإنكم وآلهتكم إلى آخره . وكيف نكون مناسبيه ، ونحن عبيد بين يديه ، لكل منا مقام من الطاعة ؟ إلى ما وصفوا به أنفسهم من رتبة العبودية . وقيل : { وَمَا مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا لَآيُؤْمِنَنَّ } : هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي وما من المرسلين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله ، من قوله

تعالى : { عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً } .

ثم ذكر أعمالهم ، وأنهم المصطفون في الصلاة المنزهون ۞ عن ما يقول أهل الضلال .
والضمير في { ليقولون } لكفار قريش ، { لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا } : أي كتاباً من
كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل ، لأخلصنا العبادۃ ۞ ، ولم نكذب كما كذبوا
، { فَكَفَرُوا بِهِ } : أي فجاءهم الذكر الذي كانوا يتمنونه ، وهو أشرف الأذكار ،
لأعجازه من بين الكتب . { فَسَوَوْا يَعْلَمُونَ } عاقبة كفرهم ، وما يحل بهم من الانتقام
، وأكدوا قولهم بأن المخففة وباللام كونهم كانوا جادين في ذلك ، ثم ظهر منهم التكذيب
والنفور البليغ ، كقوله : { فَلَمَّ سَّاءَ جَاءَهُمْ مَّسَّاءٌ عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ } . .
{ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا } : قرأ الجمهور بالإفراد لما انتظمت في معنى واحد
عبر عنها بالإفراد . وقرأ الضحاك : بالجمع ، والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقامات
الحجاج وملاحم القتال في الدنيا ، وعلوهم عليهم في الآخرة . وقال الحسن : ما غلب نبي في
الحرب ، ولا قتل فيها . { فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ } : أي إلى مدّة يسيرة ، وهي
مدّة الكف عن القتال . وعن السدّي : إلى يوم بدر ، ورجحه الطبري . وقال قتادة : إلى
موتهم . وقال ابن زيد : إلى يوم القيامة . { وَأَبْصَرَهُمْ } : أي انظر إلى عاقبة
أمرهم ، فسوف